

للإمام الحافظ المحدث محب الدين الطبرى

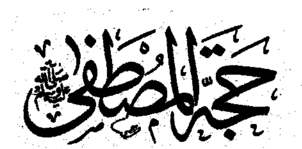
المتوفى سـنة ٦٩٤ هجرية

عنى بالتعليق عليه

رضوان محمد رضوان

مكتبة الثقافة
المدينة المنورة

دار الكتب العلمية
بيروت



المحب الطبرى ؟ *

الإمام المحدث المفتى فقيه الحرم محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر الطبرى ثم المكى الشافعى : مصنف الأحكام ولد [1] سنة خمس عشرة وستمائة

وسمع من أبى الحسن بن القيروانى وابن الجميزى وشعيب الزعفرانى وعبد الرحمن بن أبى حرمى وجماعة

وتفقه [2] ودرس وأفتى وصنف [3] وكان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز

---

* نقلا عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبى

(١) ولد بمكة المكرمة (٢) تفقه بقوص على الأستاذ مجد الدين القشيرى والد شيخ الإسلام تقى الدين ابن دقيق العيد (٣) أجل صنف كتبا كثيرة فى غاية النفاسة والحسن . منها : الأحكام قال تقى الدين السبكى : الكتاب المشهور المبسوط دل على فضل كبير . وشرح التنبيه للإمام أبى إسحاق الشيرازى والقرى لقاصد أم القرى بدار الكتب المصرية نسخة خطية والرياض النضرة فى مناقب العشرة طبع بالقاهرة . والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين طبع فى حلب وذخائر العقبى فى فضائل ذوى القربى بدار الكتب المصرية نسخة خطية . ومختصر فى الحديث مرتب على أبواب التنبيه وغير ذلك

روى عنه الدمياطى — من نظمه وأبو الحسن بن العطار وأبو محمد ابن البرزالى وآخرون (١) وكان إماما صالحا زاهداً كبير الشأن روى عنه ولده قاضى مكة : جمال الدين محمد وحفيده الإمام مجد الدين قاضى مكة وكتب إلىّ بمروياته

توفى فى جمادى الأولى (٢) سنة أربع وتسعين وستمائة

---

(١) وآخرون من هؤلاء السلطان المظفر صاحب اليمن فإنه استدعاه ليسمع منه الحديث فرحل إليه وأسمعه فيما أسمعه الأحكام وقد كتب فى أثناء إقامته قصيدة يتشوق بها إلى مكة منها :

مريضك من صدودك لا يعاد ... به ألم لغيرك لا يعاد
وقد ألف التداوى بالتدانى ... فهل أيام وصلكم تعاد؟

ومنها :

لحا الله العواذل كم يلحوا ... وكم عذلوا فما أصغى وعادوا
ولو لحوا من الأحباب معنى ! ... لما أبدوا هناك ولا أعادوا

ومنها :

أريد وصالها وتريد بعدى ... فما أشقى مريدا لا يراد

(٢) توفى فى جمادى الأولى قال الجلال السيوطى : توفى فى جمادى الآخرة وقال فى شذرات الذهب : توفى فى جمادى الآخرة على الصحيح، وحكى البرزالى أن ولده توفى بعده فى ذى القعدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فلما وفق الله لتجريد أحاديث المناسك من الكتب الستة: البخارى ومسلم والترمذى وسنن أبى داود والنسائى والموطأ ومن غيرها: مما نبهت على أصله المخرجة منه (١) وجمعتها فى الكتاب الموسوم: «بالقرى. لقاصد أم القرى» استخرت الله سبحانه واستخرجت منه صفة حج النبى صلى الله عليه وسلم مما اتفق عليه وما اختلف فيه. جامعاً بين المختلف بقدر الإمكان. عازياً ماروى مما لم أخرجه فى الكتاب المذكور إلى أصله وعلامة انتهائه دائرة فيصلا بينه وبين مابعده. منبهاً على ماروى عنه صلى الله عليه وسلم من أحكام الحج فى غير حجته. وما أشكل على أمره: هل كان فى حجته

---

(١) أى فى آخر كل حديث أو أحاديث

أم لا ؟ من قول أو فعل ذكرته ورددت العلم فيه إلى الله سبحانه وتعالى . والله المسئول أن يجعل ذلك وسيلة إلى أجزل ثواب وأحسن مآب بمنه وكرمه

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج وكانت فريضة الحج نزلت فى سنة ست . وقيل : خمس، وقيل : تسع ، والأول هو المشهور . والوجهان الآخران حكاهما عياض فى : «الإكمال»

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحج قبل المبعث وبعده قبل نزول فرض الحج عليه مع قومه . ذكره أبو سعد فى : «شرف النبوة» وغيره

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ست معتمراً وأحرم من ذى الحليفة [1] فلما بلغ الحديبية [2] وصده المشركون ثم صالحوه على أن يعود من العام المقبل معتمراً ويخلون مكة ثلاثة أيام ولياليها ويصعدون رءوس الجبال : فحل من إحرامه ونحر سبعين

---

(١) ذو الحليفة «بضم الحاء المهملة وفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحت وبالفاء» : ميقات أهل المدينة على وهى نحو ستة أميال منها

(٢) الحديبية «بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء» : قرية على نحو مرحلة من مكة

بدنة كان ساقها [١] ورجع إلى المدينة

فلما كان فى قابل أحرم بالعمرة من ذى الحليفة فى ذى القعدة وأتى مكة وأقام بها ثلاثة أيام وفرغ من عمرته وأنفذ إليهم عثمان بن عفان فقال : إن شئتم أقمت عندكم ثلاثا أخر وأعرست بأهلى [٢] وأولمت لكم - وكان تزوج ميمونة الهلالية قبل عمرته ولم يدخل بها فقالوا : لا حاجة لنا فى وليمتك اخرج عنا ! وقيل : إنه جاءه بعضهم وسأله الخروج فقال له ذلك فأجابه عليه ويجوز أن يكون أرسل إليهم ثم جاءه بعضهم ولا تضاد بينهما — فخرج آخر اليوم الثالث حتى أتى سرف (وهى على عشرة أميال من مكة) وأقام ثلاثا وأعرس بأهله ثم سار إلى المدينة

فلما كان سنة ثمان من الهجرة ونقض أهل مكة العهد : خرج صلى الله عليه وسلم فى رمضان إلى مكة فافتتحها صلحاً أو عنوة على الاختلاف فيه ودخل بغير إحرام وأقام بها أربعة عشر يوما ثم

---

(١) البدنة : البعير ذكرا كان أو أنثى

(٢) أعرست بأهلى : أى دخلت بها

خرج إلى حنين [١] ففتح الله عليه ثم خرج إلى الطائف [٢] وأقام عليها شهراً ثم تركها ورجع على دجناء [٣] ثم على قرن المنازل [٤] ثم على نخلة [٥] حتى خرج إلى الجعرانة [٦] فلحقوه بها وأسلموا وأحرم صلى الله عليه وسلم منها ودخل مكة معتمراً لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة وفرغ من عمرته ليلاً ثم رجع إلى الجعرانة وأصبح بها كبائت ورجع إلى المدينة

واستعمل على الحج عتاب بن أسيد فأفرد وحج على ما كانت العرب عليه ثم بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر فأقام للناس الحج سنة تسع

---

(١) حنين : وادبين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا
(٢) الطائف : بلد معروف على مرحلتين من مكة فى جهة المشرق
(٣) دجناء بالمد : والقصر اسم موضع
(٤) قرن المنازل « بفتح القاف وسكون الراء وفتح الميم » : ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة
(٥) نخلة « بفتح النون وسكون الخاء المعجمة » : هى نخلة اليمانية بينها وبين مكة ليلة
(٦) الجعرانة « بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء » : موضع بين الطائف ومكة وهو إلى مكة أقرب

وأفرد وأردفه بعلىّ يؤذن بسورة براءة فلما كانت سنة عشر تجهز صلى الله عليه وسلم

وأكثر هذا فى الصحيح وما فيه من غيره خرجه الدارقطنى والواقدى وأبو سعد وعياض كل منهم خرج طائفة منه

وأذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله

ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ هاجر غير هذه الحجة وحج قبل الهجرة حجتين . قال ابن حزم : فأصاب الناس جدرى أو حصبة فمغث [١] من شاء الله من الناس أن يمتنع من الحج معه فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن عمرة فى رمضان تعدل حجة

وذكر مسلم أن هذا القول كان لأم سنان الأنصارية قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامنعك أن تحجى معنا ؟ قالت : لم يكن لنا إلا ناضحان فحج أبو ولدها وابنها على ناضح [٢] وترك لنا ناضحاً ننضح

---

(١) فمغث : أصل المغث الدلك والمرس بالأصابع فاستعير لوجع ذلك

(٢) الناضح : البعير الذى يستقى عليه الماء.

عليه قال : فاذا جاء رمضان فاعتمرى فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى [١]

ولعله صلى الله عليه وسلم صدر منه ذلك القول عند التوجه للحج . ثم قاله بعد ذلك لأم سنان . وقد روى أنه قال ذلك لعدة نسوة : أم طليق ، وأم سليم ، وأم سنان ، وأم الهيثم ، وأم معقل

وخرج صلى الله عليه وسلم إلى مكة فأخذ على طريق الشجرة وكان صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرس [٢] وذلك لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر

قال الملا : وقيل إنه صلى الجمعة بالمدينة ثم صلى العصر والمغرب والعشاء بذى الحليفة . وقيل : كان توجهه يوم السبت لخمس بقين وصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ثم أحرم عند صلاة الظهر من يومه ذلك قال الواقدى : وهذا هو الحديث الثبت عندى

---

(١) أى تجزئ عن أجرها وهو معنى : «تعدل» فى الرواية السالفة وذلك كله فى الأجر والثواب لافى الإجزاء عن الفريضة . قال الامام أبو الحسن القرطبى : يريد فى الثواب . والفضل لايدرك بقياس والله يؤتى فضله من يشاء

(٢) المعرس : موضع التعريس وهو نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة

وهذا يستقيم على مانقله : أن الوقفة كانت بالسبت وأما على ما جاء في الصحيح أنها بالجمعة فلا يستقيم إلا أن يكون الشهر ناقصاً ويكون قوله : بقين على ماظن لا على ماوقع قال ابن حزم : وكان يوم الخميس لست بقين والذى جاء فى الصحيح : لخمس بقين

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة لما خرج أبادجانة الساعدى ويقال : سباع بن عرفطة الغفارى

وخرج صلى الله عليه وسلم نهاراً بعد أن ترجل وادّهن بأطيب دهن يجده حتى رؤى وبيصه فى رأسه ولحيته [1] قال ابن حزم : وبعد أن صلى الظهر بالمدينة أربعاً وصلى العصر من ذلك اليوم بذى الحليفة (وهو واد من وادى العقيق) ركعتين وبات به ليلة الجمعة

وهذا مغاير لما تقدم عن الواقدى أنه أحرم من يومه والصحيح أنه بات غير محرم ليجتمع الناس اليه

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة

وطاف تلك الليلة على نسائه ثم اغتسل ثم صلى بها الصبح ، وطيبته

---

(١) الترجيل : تسريح الشعر ، والوبيص «بالصاد المهملة» : البريق واللمعان

عائشة رضىَ اللهَ عنها بيدها بذريرة (١) وبطيب فيه مسك حتى كان وبيص الطيب والمسك فى مفرقه صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث وهو محرم

قال ابن حزم : إنه لم يغسل الطيب وقالت عائشة : كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضخ (٢) طيباً

ولعلها طيبته بالذريرة بعدهذاالغسل ولم يردأنه اغتسل للإحرام بعد هذا الغسل غير أن الدارقطنى روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمى وأشنان (٣) ولعله صلى الله عليه وسلم نوى بذلك الغسل رفع الحدث وأداء العبادة وغسل رأسه فيه بخطمى وأشنان

ثم لبد صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل (٤) وقلد بدنته نعلين وأشعرها

---

(١) الذريرة « بفتح الذال المعجمة » : فتات قصب طيب يجاء به من الهند والمفرق « بكسر الراء وفتحها » : وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر
(٢) أى يفوح (٣) الخطمى « بالكسر » نبت يغسل به الرأس
(٤) الغسل « بالغين المعجمة » على وزن كفل مايغسل به الرأس من خطمى

فى جانبها الأيمن وسلت الدم عنها بيده . قال ابن حزم : وكان هدى تطوع .

وتجرّد صلى الله عليه وسلم فى إزار ورداء وصلى فى مسجده بذى الحليفة ركعتين وأوجب فى مجلسه فأهلّ بالحج حين فرغ من ركعتيه وسمع ذلك منه أقوام منهم ابن عباس ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام وذلك أنّ الناس إنما كانوا يأتون أرسالا (١) فسمعوه أهلّ حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف البيداء أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا : إنما أهلّ حين علا على شرف البيداء قال ابن عباس : وأيم الله لقد أوجب فى مصلاه وأهلّ حين استقلت به ناقته وأهلّ حين علا على شرف البيداء

ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر . والإشعار : أن تطعن البدنة فى سنامها بمبضع ونحوه حتى يسيل دمها إشعاراً بأنها هدى وقوله : سلت الدم عنها بيده أى أماطه بأصبعه

(١) أرسالا : أى أفواجا وفرقا و « البيداء » هذا : موضع بقرب الحليفة وشرفها الموضع المرتفع الذى يشرف منه عليها واصل البيداء : المفازة لا شىء بها و «أيم الله» هو من ألفاظ القسم كقولك لعمر الله وعهد الله

وكان إهلاله صلى الله عليه وسلم بالقران : بالحج والعمرة وكان يلبى بهما تارة وبالحج أخرى فمن ثم قيل : إنه كان مفردا ، وروى أنه تمتع صلى الله عليه وسلم وذلك محمول على أمره به أو يكون لبى بالعمرة كما لبى بالحج فظن أنه محرم بها وحدها

وذكر مسلم أنه صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته وأشعرها وقلدها — كما وصفنا — ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء [١] أهل

وروى أبو ذر الهروى عن أنس رضى الله عنه قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث [٢] عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم وقال : اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة

وقال صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة : من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليهل ، ومن أراد أن يهل بحج فليهل ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل

وولدت بها أسماء بنت عميس الخثعمية زوج أبى بكر الصديق

---

(١) أى علت عليها (٢) الرحل : ماتركب عليه الإبل كالسرج للفرس

رضى الله عنهما محمد بن أبى بكر فأتى أبوبكر النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمرها أن تغتسل وترجل ثم تهل بالحج وتصنع مايصنع الحاج إلا أنها لاتطوف بالبيت

وأهل رسول الله بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. وأهل الناس بهذا الذى يهلون به فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته. وروى أنه زاد «لبيك إله الحق لبيك» وأتاه جبريل فأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية

قال جابر رضى الله عنه: ونظرت إلى مد بصرى بين يديه: من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا [1] وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله. وماعمل من شىء عملنا به وحج معنا النساء والصبيان وكنا نلبي عن النساء ونرمى عن الصبيان

وتمادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء [2]

والرث: الخلق البالى (١) أى بيننا (٢) الروحاء «بفتح الراء وسكون الواو وبالحاء المهملة»: موضع من عمل الفرع «بضم الفاء وسكون الراء»

رؤى بها حمار وحش عقير فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعوه فانه يوشك أن يأتى أصحابه فجاء البهزى — وهو صاحبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ثم مضى حتى إذا كان بالاثاية (١) بين الرويثة والعرج إذا ظبي حاقف فى ظل فيه سهم فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوز

وروى الملا فى سيرته عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أصبح يوم الأحد بملل (٢) ثم راح فعشى بشرف السيالة وصلى

بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا وقوله رؤى بها حمار وحش عقير : أى معقور مجروح لم يمت بعد (١) الاثاية : موضع معروف فى طريق مكة . والعرج «بفتح العين وسكون الراء المهملة ثم جيم معجمة» : قرية جامعة من عمل الفرع على أيام من المدينة . والرويثة إسم موضع قريب منهما . و«حاقف» : أى مثخن كأنه نائم قد انحنى فى نومه ويريبه : أى يتعرض له قال الاصيلى : وانما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حمار البهزى ورد حمار الصعب لأنه ظن أن الصعب صاده من أجله فتركه على التنزه والبهزى كان متكسباً فحمله على عادته فقبله وأمر بقسمه بين الرفاق . وكذلك إباحة حمار أبى قتادة لصيده إياه لنفسه ولاصحابه المحلين

(٢) ملل : موضع معروف بقرب المدينة وقوله رضى الله عنه «ثم راح فعشى

بشرف المغرب والعشاء وسار منها فصلى الصبح بعرق الظبية [١] بين الروحاء والسيالة فى المسجد الذى عن يمنة الطريق ثم نزل الروحاء فإذا حمار عقير وذكرت قصة البهزى قالت : ثم راح من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف [٢] وصلى المغرب والعشاء بالمعشى وتعشى به وصلى الصبح بالإثاية وأصبح بالعرج فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست عائشة رضى الله عنها إلى جنبه وجلست أختها أسماء رضى الله عنها إلى جنب أبى بكر رضى الله عنه

وقال الملا عن أسماء رضى الله عنها : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فناء منزله وجاء أبو بكر رضى الله عنه فجلس إلى جانبه وجاءت عائشة رضى الله عنها فجلست إلى جانبه الآخر وجئت أنا فجلست إلى جنب أبى بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبى بكر واحدة [٣] مع غلام لأبى بكر قالت أسماء :

بشرف السيالة أى نزل بها بالعشى وهو : مابين زوال الشمس إلى غروبها

(١) العرق : الجبل الصغير . و « الظبية » بضم الظاء : موضع على ثلاثة أميال من الروحاء فيه مسجد النبي صلوات الله وسلامه عليه

(٢) المنصرف : موضع بين الحرمين .

(٣) الزمالة : مايحمله المسافر من طعام ومتاع . والزاملة البعير الذى يحمل

وكان أبو بكر قال للنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة : إن عندى بعيرا نحمل عليه زادنا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : فذلك إذن ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بزاد : دقيق وسويق [١] فحمل على بعير أبى بكر ، وكان لأبى بكر غلام يقال له : عقبة فقال له : اركبه قالت : فلما كان بالإثاية عرس الغلام وأناخ البعير فغلبته عيناه فنام فقام البعير يجر خطامه آخذاً فى الشعب ! وانتبه الغلام فقام يطلبه آخذاً على طريق يظن أنه سلكها وهو ينشده [٢] فلا يسمع له بذكر وجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه وطلع عليه وليس معه بعيره ! فقال : أين بعيرك ؟ قال : أضللته البارحة [٣] فقال أبو بكر : بعير واحد تضله ! ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان علىّ الأمر ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق يضربه بالسوط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم وهو يقول : انظروا هذا المحرم ماذا يصنع ؟ !

وذكر ابن حبان أن النبى حج على رحل وكانت زاملته فيحتمل أن يكون بعض الزمالة عليها وبعضها مع زمالة أبى بكر

---

(١) السويق : مايعمل من الحنطة والشعير   تلك الزمالة

(٢) أى يطلبه ويسأل عنه   (٣) أى فقدته

ولما بلغ آل فضالة الأسلميين أن زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت حملوا إليه جفنة من حيس [١] فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : هلم ياأبا بكر فقد جاء الله بغذاء طيب وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هوّن عليك يا أبا بكر فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك وقد كان الغلام حريصاً على أن لا يضل بعيره ، وهذا خلف ما كان معه ، ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وأبو بكر رضى الله عنه ومن كان يأكل معه حتى شبعوا

فأقبل صفوان بن المعطل ـــ وكان على ساقة الناس [٢] والبعير معه وعليه الزمالة فجاء حتى أناخ على باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : انظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فقام فنظر فقال : مافقدت إلا قعباً كنا نشرب فيه فقال الغلام : هذا

---

(١) الحيس : هو الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن وقد يجعل عوض الاقط : الدقيق أو الفتيت

(٢) الساقة : هم الذين يسوقون الركب ويكونون من ورائه يحفظونه

ثم أصبح بالابواء فأهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحش يقطر دماً فبرّك عليه وقال: إنا رددناه إليك لأنا حرم

روى بعض حديث إضلال الزاملة أبو داود وتابعه الملا فى سيرته

وروى عن معاوية أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء يأكل لياء مقشى [1] أهدى إليه من ودان ثم قام فصلى ولم يتوضأ قال: وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسجد الذى ببطن وادى الابواء على يسارك وأنت متوجه إلى مكة ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأبواء

وروى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بالمسجد الذى حين يهبط من ثنية غزال [2] على الجحفة ثم راح منها فصلى فى المسجد

قرية تنسب اليه. وقوله صلوات الله عليه: «إنا رددناه إليك لانا حرم» أى محرمون وفى الحديث دلالة على أن الهبة لاتدخل فى ملك الموهوب له إلا بالقبول وأن قدرته على ملكها لايصيره مالكا لها وفى اعتذاره صلى الله عليه وسلم للصعب دلالة على كراهة رد الهدية على الصديق لما يقع فى نفسه (١) اللياء «بالكسر والمد»: حب كالحمص شديد البياض. والمقشى «بضم الميم وفتح القاف»: المقشور. و«ودان بفتح الواو والدال المهملة المشددة»: قرية جامعة قريبة من الجحفة (٢) الثنية فى الجبل كالعقبة فيه أو هى الطريق العالى فيه.

القعب معى فقال أبو بكر لصفوان رضى الله عنهما : أدى الله عنك الامانة

وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس رضى الله عنهما ومعهما زاملة تحمل زاداً يؤمّان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بباب منزله قد رد الله عليه زاملته فقال سعد : يارسول الله بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة [2] وهذه زاملة مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما ثم قال : أما يكفيك ياأبا ثابت مايصنع بنا فى ضيافتك مذنزلنا المدينة ؟ فقال سعد: المنة لله ولرسوله والله يارسول الله : الذى تأخذ من أموالنا أحب الينا من الذى تدع فقال : صدقتم ياأبا ثابت أبشر فقد أفلحت . إن الأخلاق بيد الله عزوجل فمن أراد أن يمنحه منها خلقا صالحاً منحه ولقد منحك الله خلقا صالحاً فقال سعد : الحمدلله هو فعل ذلك

ثم رحل النبى صلى الله عليه وسلم فنزل السقيا يوم الاربعاء [3]

---

(١) يؤمان : أى يقصدان (٢) الغداة : أول النهار

(٣) السقيا «بضم السين المهملة وسكون القاف : موضع معروف بين مكة والمدينة . والابواء «بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة» : جبل بين مكة والمدينة وعنده

الذى يحرم منه خارجا من الجحفة والمسجد الذى دون خم عن يسار الطريق فلما كان فى بعض الطريق اصطاد أبو معاذ حمارا وحشيا ولم يكن محرما فأحله النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد أن سأل : هل أمره أحد منكم أو أشار إليه ؟ قالوا : لا قال : فكلوه وأكل منه صلى الله عليه وسلم . وفى رواية أن ذلك كان بالقاحة وهو موضع بينه وبين مكة ثلاث مراحل مما يلى مكة

واستهل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ذى الحجة ليلة الخميس ليلة الثامن من خروجه فى قول ابن حزم والسابع فى رواية غيره

وفى مسند ابن حنبل : أنه لما مر بوادى عسفان فى حجته قال : يا أبا بكر أىّ واد هذا ؟ قال : وادى عسفان قال : لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطمهما الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار (١) يلبون يحجون البيت العتيق

فلما كان بسرف حاضت عائشة — وكانت قد أهلت بعمرة

والجحفة بضم الجيم وسكون الحاء : قرية كبيرة على طريق المدينة على سبع مراحل من المدينة وثلاث مراحل من مكة وهى ميقات أهل مصر والشام والمغرب

(١) النمار : جمع نمرة وهى الشملة المخططة

وروى بحج — فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقال : مايبكيك ؟ لعلك نفست [1] فقالت : نعم ! فقال : هذا شيء كتبه الله على بنات آدم : افعلى مايفعل الحاج غير ألا تطوفى حتى تطهرى . وفى رواية من روى إحرامها بالعمرة أنه قال لها : اغتسلى ثم أهلى بالحج

وقال صلى الله عليه وسلم بسرف : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا

وفى رواية : أن أمره بالفسخ كان بمكة وقال لهم : أحلوا من إحرامكم بطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا حلالا حتى إذا كان يوم التروية [2] أهلوا بالحج واجعلوا التى قدمتم بها متعة قالوا : كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج ؟ قال : افعلوا ما آمركم به فلولا أنى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ولكن لا يحل منى إحرام حتى يبلغ الهدى محله [3]

وفى رواية قال : حلوا وأصيبوا النساء [4] قال : قلنا لما لم يكن

---

(١) أى حضت والنفاس يأتى بمعنى الحيض كما يأتى بمعنى الولادة

(٢) يوم التروية اليوم الثامن من ذى الحجة سمى بذلك لأن الحجاج كانوا يرتوون فيه الماء لما بعده

(٣) أى الموضع والوقت الذى يحل فيهما نحره وهو يوم النحر بمنى

(٤) أى اخرجوا من إحرامكم وباشروا حلائلكم

بيننا وبين عرفة إلا خمس ليال أمرنا أن نفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة تقطر مذا كيرنا المنى(١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم، ولولا هديى لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى : فحلوا فحللنا وسمعنا وأطعنا فقال سراقة بن جعشم : يارسول الله لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : للأبد

ولعل الأمر بالفسخ تكرر منه صلى الله عليه وسلم لتخلف بعضهم عنه أو تأكيدا لما أظهروا الكراهة لذلك

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرم نزل بذى طوى(٢) فبات بها ليلة الأحد عند ابن حزم لأربع خلون من ذى الحجة

وروى الملا فى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت

---

(١) كناية عن قرب الجماع وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت أى لو علمت قبل إحرامى حرصكم على التحلل عند تحللى لم أسق الهدى وإنما أراد صلى الله عليه وسلم بهذا القول تطييب قلوب أصحابه فإنه كان يشق عليهم أن يحلوا وهو محرم فقال لهم ذلك لئلا يجدوا فى أنفسهم وليعلموا أن الأفضل لهم قبول مادعاهم إليه وأنه لولا الهدى لحل من إحرامه

(٢) ذى طوى «بفتح الطاء على الأفصح والواو المخففة» : موضع عند باب مكة بأسفلها فى صوب طريق العمرة المعتادة ويعرف اليوم بآبار الزاهر

بقديد [١] وصلى فى المسجد المنشال وصلى فى المسجد الذى أسفل من لفت [٢] وكان يوم الأحد بعسفان ثم راح من عسفان [٣] فلما كان بالغميم [٤] اعترض له المشاة فصفوا صفوفا وشكوا إليه المشى فقال: استعينوا بالنسلان [٥] ففعلوا ذلك فوجدوا به راحة وكان يوم الاثنين بمر الظهران [٦] فلم يبرح منها حتى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلم يبرح منها حتى أتى مكة فلما بلغ الثنيتين بات بين كداء [٧] وكدى ثم أصبح يوم الثلاثاء

---

(١) قديد «بضم القاف وفتح الدال»: موضع بين مكة والمدينة والمنشال: المرتفع

(٢) لفت «بفتح اللام وسكون الفاء وفتحها»: ثنية بين مكة والمدينة

(٣) عسفان «بضم العين وسكون السين المهملتين: قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو مرحلتين من مكة

(٤) الغميم «بفتح الغين المعجمة وكسر الميم»: وادبين مكة والمدينة بينه وبين مكة نحو مرحلتين

(٥) النسلان «بفتح النون والسين المهملة»: الإسراع فى العدو

(٦) مر الظهران: مر «بفتح الميم وتشديد الراء: قرية ذات نخيل وثمار وزرع ومياه والظهران «بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء»: إسم للوادى بينه وبين المدينة احد وعشرون ميلا أو ستة عشر ميلا

(٧) كداء «بفتح الكاف والمد»: الثنية التى بأعلى مكة عند الحجون. وكدى

وهذا مغاير لما رواه ابن حزم . وروى الملا من طريق آخر أنه دخل يوم الأحد وهو الأشبه لأن فى الصحيح : أنه دخل لأربع خلون من ذى الحجة ، وفيه أن الوقفة كانت بالجمعة فيكون الهلال بالخميس والدخول يوم الأحد والله أعلم

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقدم مكة إلا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل بها ثم يدخل مكة نهارا وصلى الصبح على أكمة غليظة يستقبل فرضتى الجبل [1] الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة فجعل المسجد الذى بنى ثم عن يسار المسجد الذى بطرف الأكمة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ثم يستقبل الفرضتين من الجبل

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة نهارا من أعلاها من كداء الثنية العليا التى بالبطحاء صبيحة اليوم المذكور

«بضم الكاف والقصر والتنوين» : الثنية السفلى مما يلى باب العمرة

(١) تثنية فرضة : وهى الثنية المرتفعة من الجبل والأكمة : ما ارتفع من الأرض دون الجبل وقوله : بنى ثم «بفتح الثاء» : أى هناك

واستقبله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بنى عبد المطلب (١) فحمل واحدا بين يديه وواحدا خلفه

وأتى صلى الله عليه وسلم البيت فاستلم الحجر الأسود ثم مشى على يمينه وطاف سبعا فرمل ثلاثا (٢) ومشى أربعا قال ابن حزم : يستلم الحجر الأسود والركن اليمانى فى كل طوفة ولا يستلم الركنين الآخرين

وروى ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود ويقبله

وروى يعلى بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعا ببرد أخضر (٣) والله أعلم : هل كان ذلك فى حجته صلى الله عليه وسلم أو فى بعض عمره ؟

وكان يقول بين الركنين اليمانيين . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ وفى رواية : فصلى ركعتين ثم قرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى — ولعله صلى الله عليه وسلم قرأها

---

(١) الأغيلمة : الصبيان (٢) الرمل : الإسراع فى المشى

(٣) الاضطباع : جعل الرداء تحت الإبط اليمنى وطرفه على عاتق اليد اليسرى

مرتين قبل الصلاة وبعدها وقرأ فى الركعتين بسورتى الإخلاص قل ياأيها الكافرون و قل هو الله أحد وجعل المقام بينه وبين البيت ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا فالله أعلم : هل كان ذلك الوقت أو غيره أو فى غير حجته ؟

ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ : إن الصفا والمروة من شعائر الله » ابدؤا بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى أتى البيت فاستقبل القبلة ورفع يديه — والأنصار تحته فوحد الله وكبره وقال : لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير : لاإله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل من الصفا إلى المروة حتى انصبت قدماه[1] دخل فى بطن الوادى

---

(١) أى انحدرت فى بطن الوادى وهو المسعى

وروى انه صلى الله عليه وسلم سعى حتى إن مئزره [١] ليدور من شدة السعى وهو يقول : اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا

وروى أنه صلى الله عليه وسلم ركب فى حجة الوداع فى الطواف والسعى ليراه الناس وليشرف عليهم [٢] وليسألوه إن الناس غشوه

ولعله صلى الله عليه وسلم لما كثر الناس عليه فى السعى ركب فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يصرف الناس بين يديه . قال قدامة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروة على بعير لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك [٣] خرجه البغوى ويكون ذلك بعد أن رآه من روى أنه كان ماشيا وأما طوافه راكبا فكان طواف الإفاضة والله أعلم

فلما كان آخر طواف على المروة قال صلى الله عليه وسلم إنى لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن

---

(١) أى إزاره والإزار : مايوضع فى وسط المحرم

(٢) وليشرف على الناس : أى ليعلو عليهم إن الناس غشوه : أى ازدحموا عليه

(٣) هو نحو قول القائل : الطريق الطريق

كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال : يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين : لا بل للأبد أبدا

وقد تقدم أنه قال ذلك حين قدم مكة فلعله المراد به لأن سعيه كان حين قدوم مكة أو كرر ذلك — كما ذكرناه - وكرر سراقة السؤال استثباتا للحكم واستزادة فائدة ألا ترى أن جوابه الثانى فيه زيادة على الأول

قال ابن حزم : وكان أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ورجال من أهل الوفر (١) ساقوا الهدى وكان أمهات المؤمنين لم يسقن الهدى فأحللن وكن قارنات حجاً وعمرة إلا عائشة فإنها لم تحل من أجل حيضها — كما تقدم وحلت أختها أسماء

وقدم على رضى الله عنه من اليمن ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة عليها السلام ممن حل ولبست ثيابا صبيغا (٢)

---

(١) الوفر : الغنى (٢) أى مصبوغة

واكتحلت فأنكر عليها ! فقالت : إن أبي صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا ، قال : وكان علي رضي الله عنه يقول بالعراق ؟ فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذي صنعت مستفتياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ؟ وأخبرته أني أنكرت ذلك عليها ! فقالت : إن أبي صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا ؟ فقال : صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إني أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن معي الهدى فلا تحل قال : وكان جماعة الهدى الذي قدم به علي رضي الله عنه والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة

قال ابن إسحاق : إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً إلى نجران [1] فلقيه بمكة وقد أحرم — ثم ذكر إنكاره على فاطمة ورد فاطمة رضي الله عنهما عليه قال : ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك قال : يارسول الله إني

---

(١) نجران : بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانيها نجران بن زيد ابن يشجب بن يعرب بن قحطان

أهللت كما أهللت فقال : ارجع فحل كما حل أصحابك ! قال : يارسول الله إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم ! قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما

وفى هذا زيادة بيان على مارواه مسلم ، وليس بين هذا وبين قوله : ماقلت ؟ وقوله : إن معى الهدى فلا تحل تضاد لجواز أن يكون هذا بعد مراجعة على له لما أمره بالتحلل

وروى ابن إسحاق أيضاً أنّ علياً لما قدم من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذى معه رجلا من أصحابه [1] فعمد ذلك الرجل وكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على رضى الله عنه [2] فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل ! قال : ويلك !

(١) أى جعله خليفة عليهم

(٢) الحلة : ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين والبز: أمتعة البزاز

ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس . قال : ويلك قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فانتزع الحلل من الناس فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : أيها الناس لاتشكوا عليا ؟ فوالله إنه لأخشى فى ذات الله أو فى سبيل الله !!

وقدم أبو موسى الأشعرى فسأله النبى صلى الله عليه وسلم كما سأل عليا فقال : لبيت بإهلال كاهلال النبى صلى الله عليه وسلم قال : فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفا ء المروة وأحل لحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى

ثم نزل صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة عند الحجون [١] وهو مهل بالحج ولم يقرب مكة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة

وروى الملا فى سيرته عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : ألا تنزل بيوت مكة ؟ فأبى صلى الله عليه

---

(١) الحجون « بفتح الحاء وضم الجيم » : الجبل المشرف على مسجد جبل الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وهى مقبرة أهل مكة

وسلم واضطرب بالأبطح قبة (١) ولم يدخل بيتاً ولم يظله. والحجون والأبطح متقاربان فلا تضادّ بينهما

ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعوده بمكة من وجع أشفى فيه على الموت (٢) فبكى فقال صلى الله عليه وسلم: مايبكيك؟ قال: قد خشيت أن أموت بالأرض التى هاجرت منها كما مات سعد بن خولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشف سعداً ثلاث مرات. فقال: يارسول الله بلغ بى ماترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا قال: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا الثلث والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة (٣) يتكففون الناس! ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك (٤) فقال سعد: يارسول الله أخلف بعد أصحابى؟ فقال. إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغى به وجه الله إلا ازددت به

---

(١) واضطرب: أى ضرب « بالأبطح » أى مسيل وادى مكة بين مكة ومنى والبطحاء: الحصى الصغار (٢) أى أشرف عليه (٣) أى تتركهم عالة فقراء يتكففون الناس: أى يمدون أيديهم إلى الناس بالسؤال (٤) أى فى فمها

درجة ورفعة : ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون اللهم امض لأصحابى هجرتهم ولا تردهم على عقبهم لكن البائس سعد ابن خولة رثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن توفى بمكة

وأقام يوم الأحد المذكور والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة - ووافق يوم التروية : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الركن والمقام (١) فخطب الناس ووعظهم

وهذا مغاير لما جاء فى الصحيح من أن الوقفة كانت بالجمعة

وخرج ابن المنذر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا كان يوم التروية خطب الناس وأخبرهم بمناسكهم زاد الملا فى سيرته : وأمرهم بالخروج إلى منى من الغد وقال فى خطبته : من استطاع منكم أن يصلى الظهر بمنى من يوم التروية فليفعل

ثم توجه فيه إلى منى - وفى ذلك الوقت أحرم بالحج من الأبطح كل من كان أحل . وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار اليها - قال أبو سعد فى « شرف النبوة » : ضحوة النهار وقال الملا : بعد

---

(١) أى الركن الذى فيه الحجر الأسود والمقام : مقام إبراهيم عليه السلام

مازاغت الشمس [١] وطاف بالبيت أسبوعا — متوجهاً إلى منى . وكان إلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظلل به النبي صلى الله عليه وسلم من الشمس ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منى عند دار الامارة اليوم

وما ذكره من الطواف مغاير لما جاء فى الصحيح : من أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرب الكعبة بعد طواف القدوم حتى رجع من عرفة فان صحت هذه الزيادة فيقضى بها لأن راويها معه زيادة علم لم تبلغ ذلك الراوى

وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى باتفاق من الجميع : الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات بها ليلة يوم الوقفة وصلى بها الصبح ثم مكث حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة [٢] فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام [٣] كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية وكانت

---

(١) أى مالت عن وسط السماء . وقوله وطاف بالبيت أسبوعا : أى سبعا

(٢) نمرة « بفتح النون وكسر الميم » : قرية شرقى عرفات وهى خراب اليوم

(٣) المشعر الحرام « بفتح الميم » : جبل صغير بالمزدلفة

العرب يدفع بهم أبو سيارة على حمار عرى فأجاز صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، وأصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم . يهل المهل منهم فلا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه قال ابن عمر : منا المكبر ومنا المهل فأما نحن فنكبر

وذكر البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الصبح غداة عرفة قال لأصحابه : مكانكم ثم قال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد فكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق قال : وفى الإسناد ضعف

فلما زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت (١) فأتى بطن الوادى فخطب الناس وروى أنه خطبهم على منبره ، وروى على جمل أحمر ، وروى على بعير قائماً فى الركابين

قال ابن إسحق : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى لاأدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى

---

(١) القصواء : ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم و «رحلت» أى شد عليها الرحل وهو مايركب عليه كالسرج للفرس

هذا بهذا الموقف أبداً

أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم لحرمة يومكم هذا ولحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فسائلكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع [١] ولكن لكم رءوس أموالكم قضى الله أنكم لاتظلمون ولا تظلمون ! قضى الله أنه لاربا ! وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ! وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ! وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً فى بنى ليث [٢] فقتلته هذيل فهو أول ماأبدأ به من دم الجاهلية

« وعند مسلم : وكان مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر بن هوازن فقتلته هذيل » قال ابن حزم : وذكر النسابون أنه كان صغيراً يحبو أمام البيوت وكان اسمه آدم : فأصابه حجر غابر أو سهم غرب [٣] من يد رجل من هذيل فمات

---

(١) أى مردود وباطل (٢) الاسترضاع : طلب المرضعة ومنه قول الله تبارك وتعالى : « أن تسترضعوا أولادكم » أى تطلبون المراضع لهم

(٣) سهم غرب « بفتح الراء وسكونها وبالاضافة وبدونها : لايعرف راميه

أما بعد : أيها الناس فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به : مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم

أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكفر [1] يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ماأحل الله ! وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم : ثلاث متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان

أما بعد : أيها الناس فان لكم على نسائكم حقاً وإن عليكم حقاً لهن : علتهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهون [2] وعليهن أن

---

(١) كانت العرب تحرم القتال فى أربعة أشهر ثلاث متوالية وهى ذو القعدة وذوالحجة والمحرم وواحدفرد وهورجب وكانوا ربما استطالوا تلك الاشهر المتوالية رغبة فى الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرموا صفراً من العام القابل فعاب رسول الله صلى الله عليه سلم ذلك وأبطله كما عابه الله تبارك وتعالى فى كتابه

(٢) أى لا يأذن لأحد من الرجال يدخل فيتحدث اليهن وكان الحديث من عادات

لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح (١) فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهنّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئا وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله فاعقلوا

أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخ لمسلم فان المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تظلمن أنفسكم ! اللهم : هل بلغت ؟ فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد

العرب لا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة إلى أن نزلت آية الحجاب فصارت النساء مقصورات فنهى عن القعود اليهن وعن محادثتهنّ فهى عادة جاهلية بطلت وهاهى الآن قد فشت فأعادت عصر الجاهلية الأولى ولا حول ولا قوة إلا بالله

(١) غير مبرح : أى غير مؤثر ولا شاق تأديبا لهن

وعند مسلم بعد قوله صلى الله عليه وسلم :قد تركت فيكم مالم تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله» ولم يذكر «وسنة نبيه»

وقال : وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس [١] اللهم اشهد ثلاث مرات وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ ذلك الشاهد [٢] الغائب

وأكثر هذه الخطبة فى الصحيح بتقديم بعض الألفاظ وتأخير بعض وسياق ابن إسحاق أتم

وروى ابن إسحاق أيضاً أن الرجل الذى كان يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقوله لهم فيقولون : الشهر الحرام فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم ثم يقول .

---

(١) ينكتها إلى الناس أى يميلها اليهم يريد بذلك أن يشهد الله عليهم

(٢) الشاهد : الحاضر

قل: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هل تدرون أى بلد هذا؟ قال: فيصرخ به قال: فيقولون: البلد الحرام قال: فيقول قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا قال: ثم يقول: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هل تدرون أى يوم هذا؟ قال فيقوله لهم فيقولون يوم الحج الأكبر قال: فيقول: قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا

وروى ابن إسحاق أيضاً عن عمرو بن خارجة قال: بعثنى عتاب ابن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ورسول الله واقف بعرفة فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله وإن لعابها ليقع على رأسى فسمعته وهو يقول: أيها الناس إنّ الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه وإنه لاتجوز وصية لولد والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفاً [1] ولاعدلا

وذكر الملا فى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته بعرفة

---

(١) الصرف: التوبة. والعدل: الفدية

إن هذا يوم الحج الأكبر وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في مثل هذا اليوم قبل غروب الشمس حين تعتم بها رؤس الجبال كأنها عمائم الرجال على وجوههم وإنا ندفع بعد غروبها وكانوا يدفعون غدا عند المشعر الحرام قبل طلوعها حين تعتم بها رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال على وجوههم وإنا ندفع قبل طلوعها فهدينا مخالف لهدى الأوثان والشرك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمعته صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات يقول : السراويل لمن لم يجد الإزار ، والخفاف لمن لم يجد النعلين يعنى المحرم

وهذا القول وما فى الحديثين اللذين رواهما ابن إسحاق قبله يجوز أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم فى خطبته ببطن الوادى وليس من عرفة عندنا وأطلق عليه عرفة لقربه منها أو يكون قاله فى الموقف عند الصخرات وهو الأظهر ويكون كرر بعض ألفاظ خطبته ببطن الوادى

فلما أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر . ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا (١)

---

(١) أى من النوافل

فجمع بينهما صلى الله عليه وسلم فى وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات [١] وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة ونزل عليه بالموقف : «اليوم أكملت لكم دينكم» الآية فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس من يوم عرفة وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص يدعو الله تعالى رافعا يديه وكان أسامة ردفه [٢] فذكر أن الناقة مالت به فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى

وقال صلى الله عليه وسلم : أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

وقال على رضى الله عنه أكثر مادعا النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول : اللهم لك

---

(١) هى صخرات مفترشات فى أسفل جبل الرحمة والحبل «بالحاء المهملة وسكون الباء» : التلّ اللطيف من الرمل الضخم وحبل المشاة : مجتمعهم

(٢) أى راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى [١] ولك رب تراثى اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر، وشتات الأمر: اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح

وخرج البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن أكثر دعاء من قبلى من الأنبياء ودعائى يوم عرفة أن أقول: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير: اللهم اجعل فى بصرى نورا، وسمعى نورا، وفى قلبى نورا: اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى: اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر، وفتنة القبر وشر مايلج فى الليل ومايلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهور [٢]

وقال صلى الله عليه وسلم: وقفت ههنا وعرفة كلها موقف قال ابن إسحاق: وقال صلى الله عليه وسلم: هذا الموقف للجبل الذى كان هو عليه وعرفة كلها موقف وروى أبو ذرّ أن أسامة كان ردف النبى صلى الله عليه وسلم حال قوله ذلك بعرفة

---

(١) المآب: المرجع و «التراث» مايخلفه الرجل لورثته

(٢) البوائق: جمع بائقة وهى الداهية

وأمر صلى الله عليـه وسلم بالارتفاع عن بطن عرفة . وهناك سقط رجل محرم من جملة الحجيج عن راحلته فأوقصته [١] فمـات فقال صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بمـاء وسدر ، وكفنوه فى ثوبيـه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا وجهه ولا رأسـه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا ، وروى ملبدا

وأرسلت إليـه أم الفضل وروى ميمونة بلبن فشربه صلى الله عليه وسلم أمام الناس وهو على بعـيره فعلموا أنه لم يكن صلى الله عليه وسلم صائمـا

وسأله صلى الله عليه وسلم أناس من أهل نجد كيف الحج ؟ فأمر مناديا فنادى : الحج يوم عرفة من جاء ليلة جمع [٢] قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج . أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليـه ومن تأخر فلا إثم عليه

---

(١) أى كسرت عنقه فمات ، والسدر : ورق النبق ، وقوله صلى الله عليه وسلم «ولا تخمروا وجهه ولا رأسه» أى لا تغطوهما فانه يبعث يوم القيامة ملبيا

(٢) جمع « بفتح الجيم وسكون الميم » : المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس بها أو لجمعهم بين المغرب والعشاء فيها

ثم دفع صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد رضى الله عنهما ردفه وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله [١] ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة ! كلما أتى حبلا أرخى لها قليلا حتى تصعد وسار صلى الله عليه وسلم العنق وإذا وجد فجوة نص ، وسمع صلى الله عليه وسلم وراءه زاجراً شديداً وضربا للإبل فأشار بسوطه وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع !

وذكر الملا أنه كان يقول : أيها الناس على رسلكم [٢] وعليكم السكينة وليلن قويكم عن ضعيفكم

وروى أبو ذر عن أبى سويد بن حجير عن خاله أنه لقى النبى صلى الله عليه وسلم بين عرفة والمزدلفة قال : فأخذت بخطام ناقته فقلت : مايقربنى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ فقال : أما والله لئن أوجزت المسألة [٣] لقد أعظمت وطوّلت ! أقم الصلاة المكتوبة وأدّ الزكاة المفروضة وحج البيت وما أحببت أن يفعله بك الناس

---

(١) مورك الرحل : قطعة أدم تشبه المخدّة الصغيرة تجعل فى مقدّم الرحل يتورّك عليها الراكب ، ويقول بيده : أى يشير بها ، وقوله : « وسار صلى الله عليه وسلم العنق أى سيراً رفيقا

(٢) الرسل : الاتئاد (٣) أى : اختصرت فى السؤال

فافعله بهم وما كرهت أن يفعله الناس بك فدع الناس منه خل عن خطام الناقة !!

فلما كان عند الشعب الأيسر [١] الذى دون المزدلفة وقال الملا على يسرة الطريق بين المـأزمين [٢] ويقال له: شعب الإذخر نزل صلى الله عليه وسلم فبال وتوضأ وضوءا خفيفا ولم يسبغ الوضوء فقال له أسامة: الصلاة؟ فقال: الصلاة أمامك! ثم ركب صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة ليلة السبت على الأصح العاشرة من ذى الحجة فتوضأ صلى الله عليه وسلم فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثلاثا ثم أناخ كل إنسان بعيره فى منزله ولم يحله ثم أقيمت العشاء فصلاها ركعتين ولم يصل بينهما شيئا

وفى حديث جابر رضى الله عنه: أنه صلاهما بأذان وإقامتين وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى المغرب بأذان وإقامة ثم التفت فقال: الصلاة ثم صلى وقال: هكذا صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الشعب: الطريق (٢) المـأزمان «بسكون الهمزة وكسر الزاى»: جبلان بين عرفات والمزدلفة بينهما طريق

ويجوز أن يكون قوله : ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب أى بعد أذان يدل عليه حديث جابر وقول ابن عمر رضى الله عنهما : الصلاة ؟ لا دلالة فيه على الاكتفاء به فى الدخول فيها دون الإقامة بل يجوز أن يكون نبه بذلك عليها لغفلة وقعت من بعضهم أو حثاً على المبادرة لئلا تفوت فضيلة الموالاة ثم أقام غيره وصلى بعد ذلك

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح مغلسا به [1] بأذان وإقامة

وهنالك جاء عروة بن مضرس الطائى فقال : إنى جئت من جبلى طيء أكللت راحلتى [2] وأتعبت نفسى! والله ماتركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لى من حج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى يدفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه ومن لم يدرك مع الإمام والناس فلم يدرك

---

(١) أى مصليا بغلس وهو أعلى السحر

(٢) أى أتعبتها ، والتفث : هو مايفعله المحرم إذا حلّ كقص الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة

واستأذنتـه سودة وكانت امرأة ضخمة وأمّ حبيبة فى أن يدفعا من مزدلفة ليلا فأذن لهما وتمنت عائشة رضى الله عنها أن لو كانت استاذنت ودفعت ليلا

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمّ سلمة فرمت قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها

وبعث صلى الله عليه وسلم بالثقل (١) وضعفة أهله من جمع بليل وبعث فيهم ابن عباس وقال لهم : لاترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس وقدم أغيلمة بنى عبـد المطلب على حمرات وجعل يلطح بأفخاذهم (٢) ويقول : أى بنىّ لاترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس !

قال ابن حزم : وأذن للنساء أن يرمين بليل ولم يأذن للرجال فى ذلك لالضعفائهم ولا لغير ضعفائهم . وذلك كله بعد وقوف جميعهم بجمع وذكرهم الله تعالى بها

---

(١) الثقل « بفتح الثاء المثلثة والقاف » المتاع والحشم

(٢) اللطح « بفتح اللام وسكون الطاء المهملة بعدها حاء مهملة » : الضرب الخفيف باليـد

ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى الصبح حتى أتى قزح وهو المشعر الحرام وقال : هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف واستقبل القبلة ودعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدا

ثم دفع صلى الله عليه وسلم قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل ابن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما قال ابن حزم : وانطلق أسامة على رجليه فى سباق قريش فمرت ظعن يجرين[1] فجعل الفضل ينظر إليهن ! فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحوّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر فنظر ! فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه إلى الشق الآخر

واستفتته امرأة من خثعم فقالت : يارسول الله إن فريضة الله على عباده أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ! فلوى رسول الله

---

(١) ظعن « بضم الظاء والعين » : جمع ظعينة وهى الراحلة التى يظعن عليها يقال للمرأة ظعينة لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت

صلى الله عليه وسلم عنق الفضل [١] فقال له العباس : لم لويت عنق ابن عمك يارسول الله ؟ قال : رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما

وجاءه رجل فقال : يارسول الله إن أمى عجوز كبيرة إن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت [٢] لو كان على أمك ديناً كنت قاضيه ؟ قال : نعم. قال : حج عن أمك !

وخرّج ابن ماجه عن بلال بن رباح أنه صلى الله عليه وسلم قال له : يابلال أسكت الناس أو أنصت الناس ! ثم قال : إن الله تطوّل عليكم فى جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ماسأل : ادفعوا بسم الله

وكان صلى الله عليه وسلم غداة جمع حين دفعوا يقول : عليكم بالسكينة وهو كافّ ناقته حتى دخل محسرا [٣] وهو من منى قال :

---

(١) أى حوّله إلى الشق الآخر (٢) أى أخبرنى

(٣) محسر : « بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المهملة وكسرها » : هو واد بين مزدلفة ومنى قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : إن وادى محسر من منى ، وحصى الخذف «بفتح الخاء المعجمة وسكون الذال المعجمة» قال الشافعى قدس الله سره : هو أصغر من الأنملة طولا وعرضا

عليكم بحصى الخذف الذى ترمى به الجمرة وهو صلى الله عليه وسلم يشير بيده كما يخذف الإنسان وقرع صلى الله عليه وسلم ناقته فخبت [١] حتى جاوز الوادى . وروى أنه لما جاوز الوادى وقف وأردف الفضل وقد صح أنه أردفه من المزدلفة كما ذكرنا فلعله صلى الله عليه وسلم أنزله لما خبت الراحلة فى الوادى تخفيفا عنها فلما جاوزه وقف وأردفه ، أو يكون الفضل نزل لالتقاط الحصى لما دخل محسرا حين أمر به صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويجعل الحصاة بين أصابعه

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : هات القط لى فلقط له حصيات من حصى الخذف ، فلما وضعهن فى يده قال : بأمثال هؤلاء : إياكم والغلو فى الدين [٢] فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ فى الدين !!

---

(١) خبت «بالخاء المعجمة» أسرعت (٢) غلا فى الأمر : جاوز الحد فيه

وذكر ابن حزم ان ابن عباس رضى الله عنهما التقطها له من مقامه الذى رمى منه

ورمى صلى الله عليه وسلم الجمرة من بطن الوادى ضحى من اليوم المؤرخ على ناقة صهباء [١] وليس ثم ضرب ولا طرد ، ولا اليك اليك ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته والآخر رافع ثوبه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيه من حرّ الشمس وقال حينئذ : خذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه ؟ ولم يزل صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة فحينئذ قطعها

ولا تضادد بين هذا وبين ماخرّجه البيهقى من التكبير غداة عرفة إن صح بل يحمل على أنه كان يكبر ويلبى ومعنى لم يزل يلبى : أى إنه لم يقطع التلبية إلى أن رمى واستمر على التكبير إلى أن انقضى وقته

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه لما رمى الجمرة جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه وقال : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة

---

(١) صهباء : أى حمراء يعلوها سواد

وفى رواية عنه أنه استبطن الوادى واستقبل الكعبة وجعل يرمى الجمرة على حاجبه الأيمن ثم قال: والذى لا إله غيره من ههنا رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة

ولعل الإشارة إلى بطن الوادى لا إلى كيفية الوقوف للرمى، أو أشار فى الأول إلى الكيفية ولهذا قال: مقام، وفى الثانى إلى المكان ولهذا قال: من ههنا ولا تضادد بينهما ويكون ابن مسعود رمى مرتين أصاب فى إحداهما كمال السنة وفى الأخرى بعضها إما لجماح الراحلة وكثرة الزحام أو عذر غير ذلك

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المنحر[1] فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وأعطى عليا فنحر ما غبر منها وأشركه فى هديه وأمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها

وقال صلى الله عليه وسلم: نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم، وكل فجاج مكة[2] طريق ومنحر

---

(١) المنحر: موضع نحر الهدى ونحوه. وقوله: فنحر ما غبر منها: أى ما بقى من البدن، والبضعة «بفتح الباء» القطعة من اللحم

(٢) الفجاج: جمع فج وهو الطريق

وروى أنه نحر فى منزله ولعل منزله كان عند المنحر وروى أبو ذر عن ابن عباس قال: نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منحر إبراهيم الذى ذبح فيه الكبش فاتخذوه منحرا، قال: وهو المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم

وأمر صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقسمة لحوم الهدى وجلوده وجلاله وأن لا يعطى الجازر منها شيئا! وقال: نحن نعطيه من عندنا

وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه بالبقر وفى رواية أنه نحر عن آل محمد أبقرة فيجوز أن يكون غير ماذبح عن نسائه ويجوز أن يراد بالأول نساؤه، وذبح صلى الله عليه وسلم عن عائشة بقرة. وفى رواية أنه ذبح عمن اعتمر من نسائه بقرة بينهن، والمراد بذلك والله أعلم نساؤه سوى عائشة ويكون معنى اعتمر: أحل بعمرة وكلهن أحللن بعمرة إلا عائشة لمكان حيضها ثم أفردها صلى الله عليه وسلم ببقرة غير هذه على ماذكرناه

وذكر ابن حزم أنه صلى الله عليه وسلم ضحى فى ذلك اليوم بكبشين أملحين [1]

---

(١) تثنية أملح وهو الذى اختلط بياضه بسواده

ولا تضادد بينهما فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا عمل عملا أثبته وكان صلى الله عليه وسلم يضحى بهما بالمدينة فلما حج ضحى بهما ولم يكتف بما أهدى من البدن وأمر صلى الله عليه وسلم أن يجتمع البقر فى الهدى فنحروا معه البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة

ثم حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه المقدس فقال للحلاق : خذ وأشار إلى شقه الأيمن فبدأ به فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر : فصنع به كذلك ثم قال : ههنا أبو طلحة ؟ فأعطاه أبا طلحة ، وفى رواية أعطاه أم سليم . وروى الملا أن خالد ابن الوليد كلمه فى ناصيته فدفعها اليه

وحلق بعض أصحابه وقصر بعضهم فدعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة فقال : رحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : رحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : رحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين ؟ وفى رواية : فلما كانت الرابعة قال : والمقصرين

وفى رواية أنه دعا لهم بالمغفرة فقال : اللهم اغفر للمحلقين وكرر

ذلك ثم دعا للمقصرين وكان أحد الدعائين فى حجته : فالله أعلم أيهما كان ؟

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا رميتم وذبحتم وحلقتم حل لكم كل شيء إلا النساء، وحل لكم الثياب والطيب خرجه الدارقطنى فالله أعلم : هل قال ذلك فى حجة الوداع أو فى زمن آخر ؟

ووقف صلى الله عليه وسلم بين الجمرات وقال : هذا يوم الحج الأكبر فطفق صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد وودع الناس فمن ثم قيل : حجة الوداع وقال صلى الله عليه وسلم : إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر (١)

وقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست فطفقن يزدلفن إليه (٢) بأيتهن يبدأ ؟ فلما وجبت جنوبها (٣) قال : من شاء اقتطع

فيحتمل أن تكون هذه البدنات من الثلاث والستين التى نحرها بيده يوم النحر ويحتمل أن تكون غيرها

---

(١) هو الغد من يوم النحر حادى عشر ذى الحجة سمى بذلك لأن الناس يقرون فيه (٢) أى يقربن منه (٣) أى سقطت إلى الأرض

وقال صلى الله عليه وسلم : ياأيها الناس أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فاى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام لحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ؟ قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده إنها لوصية إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض !!

وروى أبو ذر عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم النحر وكان مما قال : صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال : ألا كل مأثرة [1] كانت فى الجاهلية من دم ومال تذكر أو تدعى تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت [2] وسقاية الحاج ، ألا : وإن قتل الخطأشبه العمد ما كان بالسوط والعصامائةمن الإبل منهاأربعون خلفة [3] أولادهافى بطونها

---

(١) مآثر العرب : مكارمها ومفاخرها التى تؤثر عنها أى تروى وتذكر واحدتها مأثرة (٢) سدانة البيت : خدمته وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه
(٣) الخلفة «بفتح الخاء وكسر اللام» : الناقة الحامل

ونزّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس منازلهم فقال : لينزل المهاجرون ههنا وأشار إلى ميمنة القبلة والأنصار ههنا وأشار إلى الميسرة ثم لينزل الناس حواليهم

وفى رواية أنه أمر المهاجرين أن ينزلوا فى مقدم المسجد والأنصار أن ينزلوا وراء المسجد ، وقيل له : يارسول الله ألا نبنى لك بناء يظلك بمنى ؟ قال لا ، منى مناخ من سبق

ووقف صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال : يارسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : اذبح ولا حرج ثم جاءه آخر فقال : يارسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ؟ فقال : ارم ولا حرج، فما سئل صلى الله عليه وسلم عن شىء قدم ولا أخر إلا قال : افعل ولا حرج

وفى بعض الطرق قيل له : زرت قبل أن أرمى ؟ قال : لا حرج رميت بعد ما أمسيت ؟ قال : لا حرج

وقال الدار قطنى وأبو ذرّ فى منسكه : فمن قائل : يارسول الله سعيت قبل أن أطوف ؟ وأخرت شيئاً وقدمت شيئا وكان يقول:

لاحرج لاحرج إلاعلى رجل اقترض عرض رجل مسلم [١] فذلك الذى حرج وهلك ! !

ولعل هـذا السائل سعى مع طواف القدوم فيكون سعيه قبل طواف الزيارة

وهذا كله كان بمنى والله أعلم بوقت كل قضية وإن كان وقت بعض القضايا يدل سياق لفظه عليه كانزال الناس منازلهم فإنه يكون يوم النحر والظاهر كونه قبل النحر لاحتياج الناس إلى ذلك أيضاً وإن كان قول من قال : رميت بعد ماأمسيت يدل على أنه بعده أو فى ليلة يوم القرّ ولعل الوقوف تكرر وهو الظاهر والله أعلم

ثم ركب صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت بعد ماطيبته عائشة رضى الله عنها بأطيب ماوجدت ، وفى رواية بذرير وذلك يوم السبت المذكور على الأصح وطاف صلى الله عليه وسلم فيه طواف الإفاضة ويسمى طواف الزيارة وطواف الصدر وذلك قبل الظهر وصلى الظهر بمكة رواه جابر ، وروى ابن عمر : أنه أفاض ثم رجع فصلى الظهر بمنى وروت عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أخر طواف الزيارة

---

(١) اقترض عرض رجل مسلم : أى نال منه وقطعه بالغيبة

إلى الليل خرّجه الترمذى وروت أنه أفاض من آخر يومه حين صلى الظهر خرجه أبوداود وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بمنى ثم ركب إلى البيت فطاف به خرجه ابن حبان. وروى الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم أفاض مع نسائه ليلا فى مساء يوم النحر وأمر أصحابه فأفاضوا نهارا

ولعله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى ثم أدرك جماعة بمكة من أصحابه لم يصلوا فصلى بهم، ثم صلى العصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بمنى ثم ركب إلى البيت فطاف به وخرّج البخارى والبغوى أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام منى فلعل زيارته تلك المرة وقعت ليلا أو لعل اختلاف الروايات فى وقت صلاته نشأ من تكرر زيارته فى تلك الأيام ومعنى الإفاضة: الدفع بكثرة ولم يتطابقوا كلهم على أنه كان ذلك يوم النحر ولم يرمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السبع الذى أفاض فيه

وصح أنه صلى الله عليه وسلم طاف فى حجة الوداع راكباً على راحلته يستلم الركن بمحجنه [1] ويقبل طرف المحجن وقالت عائشة

---

(١) المحجن « بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم عصا محنية الرأس

رضى الله عنها كراهية أن يصرف الناس عنه

والظاهر أنه كان فى طواف الإفاضة لا القدوم . ويجوز أن يكون فى طواف غيرها إلا أن الظاهر ماذكرناه فإنه قرن بالسعى فى بعض الطرق فحمل على ما شاركه فى الركنية ويكون ركوبه فى السعى على ماتقدم ذكره

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : قدم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشتكى وطاف على راحلته كلما أتى الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أناخ راحلته فصلى ركعتين

ويشبه أن يكون هذا فى غير حجة الوداع فإنه لم ينقل أنه كان يشتكى فيها صلى الله عليه وسلم وأن ركوبه فيها إنما كان لما تقدم ذكره من أن الناس غشوه. وكان يكره أن يضرب الناس بين يديه وليسأل عن مناسك الحج

وأفاضت أم سلمة فى ذلك اليوم وذكر ابن حزم أنها طافت فى ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهى شاكية ، وعند البخارى أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج ولم تكن أم سلمة رضى الله عنها طافت بالبيت وأرادت الخروج فقال لها رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون ففعلته ولم تصل حتى خرجت

ولا يجوز أن يكون ذلك يوم النحر فإنهم لم يصلوا الصبح فيه بمكة ويجوز أن يكون المراد به طواف الوداع وتكون شكايتها دامت إلى وقت القفول ولا تضادد

وممن أفاض معه ذلك اليوم عائشة رضى الله عنها وفيه طهرت من حيضتها وصفية وحاضت بعد ليلة النفر [١]

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الطواف سقاية بنى عبد المطلب فاستقى فقال العباس : يافضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها ، فقال : اسقنى فقال : يارسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، وفى رواية فقال : إن هذا شراب قد مغث ومرث : أى نالته الأيدى وخالطته قال : اسقنى، وفى رواية : فلأتبرك بأكف المسلمين فشرب منه

وفى رواية : أنه أتى السقاية فاستقى فأتوه بإناء من نبيذ [٢] فشرب

---

(١) أى الدفع من منى (٢) النبيذ : مايعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك

وسقى فضلته أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا

ثم أتى صلى الله عليه وسلم زمزم وهم يسقون فقال: انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن تغلبكم على الناس سقايتكم لنزعت معكم ووضعت الحبل على هذه وأشار إلى عاتقه فناولوه دلواً فشرب منه

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت وجعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ثم صلى وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة

وروى عكس ذلك وهو الأظهر لأنه روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى بين العمودين المقدمين اليمانيين وبين العمودين تلقاء وجهه وبين العمودين المقدمين وباب البيت أقرب إلى جهة اليمين فإذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المتقدمين اليمانيين فقد جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره ثم خرج صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين فى وجه الكعبة

وجاء أنه أيضا صلى الله عليه وسلم دخل البيت ولم يصل فيه بل مضى حتى إذا كان بين لأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم قام حتى أتى ما استقبل

من دبر الكعبة فجعل وجهه وخده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله تعالى والمسئلة والاستغفار ثم خرج فصلى ركعتين مستقبلا وجه الكعبة خلف المقام ثم انصرف فقال: هذه القبلة هذه القبلة وأجاف صلى الله عليه وسلم الباب [1] فى الدخلتين جميعاً

ورجع صلى الله عليه وسلم إلى عائشة بعد إحدى الدخلتين كئيباً [2] بعد أن خرج من عندها مسروراً فقال: إنى دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت مادخلتها إنى لأخاف أن أكون شققت على أمتى!!

قال ابن حبان: والأشبه أن يحمل ذلك على دخولين متغايرين أحدهما يوم الفتح وصلى فيه والآخر فى حجة الوداع ولم يصل فيه وجاء أنه لما خرج من دخلته التى كانت يوم الفتح استلم هو وأصحابه البيت من الباب إلى الحطيم [3] ووضعوا خدودهم على البيت ورسول الله

---

(١) أى: ردّه عليه (٢) الكآبة: الحزن الشديد

(٣) الحطيم: مابين الحجر الأسود والمقام وزمزم والحجر، سمى حطيما لأن

صلى الله عليه وسلم وسطهم فالله أعلم : هل فعل ذلك فى حجة الوداع أم لا ؟

وقالت عائشة رضى الله عنها : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأدخلنى الحجر (١) فقال : صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت فإن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت

فالله أعلم : هل قال لها ذلك فى حجة الوداع أم فى زمن آخر ؟ على أنه لم ينقل أنها كانت معه ثم فى غير حجة الوداع

ثم رجع صلى الله عليه وسلم من آخر يوم إلى منى فمكث بها باقى

الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا

(١) الحجر «بكسر الحاء وسكون الجيم» قال النووى : الحجر عرصة ملصقة بالكعبة منقوشة على صورة نصف دائرة وعليه جدار وارتفاع الجدار من الأرض نحو ستة أذرع وعرضه نحو خمسة أشبار وللجدار طرفان ينتهى أحدهما إلى ركن البيت العراقى والآخر إلى الركن الشامى ، بين كل واحد من الطرفين وبين الركن فتحة يدخل منها إلى الحجر وتدويرة الحجر تسع وثلاثون ذراعا وشبر وطول الحجر من الشاذروان الملتصق بالكعبة إلى الجدار المقابل له من الحجر أربع وثلاثون قدما ونصف قدم وما بين الفتحتين أربعون قدما إلا نصف قدم وميزاب البيت يضرب فيه

يوم النحر وليلة القرّ ويومه وليلة يوم النفر الأول [1] ويومه وليلة يوم النفر الثانى ويومه يوم النحر وثلاثة أيام بعده بلياليهن

وهذه أيام التشريق وأيام منى وهى المشار اليها فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهى أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل» وفى رواية: « وبعال » إلا أنه لم يذكر فيها يوم عرفة . والبعال : النكاح

وأقام صلى الله عليه وسلم بها يأتى الجمرات الثلاث كل يوم ماشيا ذاهبا وراجعا إذا زالت الشمس يرمى كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة يبدأ بالدنيا التى تلى مسجد الخيف [2] وتلى المنحر منحر منى ثم يتقدم أمامها فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو ويرفع يديه ويتضرع [3] ثم يرمى الجمرة الوسطى كذلك ثم ينحدر ذات الشمال فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو ويرفع يديه ويتضرع

---

(١) يوم النفر الأول : اليوم الثانى من أيام التشريق . والنفر الثانى : اليوم الثالث

(٢) الخيف : ما ارتفع من الوادى قليلا من مسيل الماء ومنه مسجد الخيف بمنى لأنه بنى فى خيف الجبل ولا يكون خيف إلا بين جبلين

(٣) يتضرع : أى يدعو الله تبارك وتعالى ويبتهل إليه

ثم يرمى الجمرة ذات العقبة من بطن الوادى ولا يقف عندها

قال ابن حزم وخطب صلى الله عليه وسلم يوم الأحد ثاني يوم النحر وهو يوم الرءوس .

وروت سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت فى الجاهلية قالت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الرءوس فقال : أى يوم هذا ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم قال : أليس أوسط أيام التشريق ؟

ولعله صلى الله عليه وسلم أراد بالأوسط الأفضل فقد تقدم أن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرّ وقال تعالى : (وكذلك جعلنا كم أمّة وسطا) أى خيارا عدولا وهذا هو الظاهر فإنهم يأكلون لحوم الهدايا يوم النحر والرءوس يوم الثانى ولا تبقى الرءوس ثلاثة أيام إلا وتتغير غالباً ولا تضادّ بين قوليهما

قال ابن حزم: وروى أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوم الاثنين وهو يوم الأكارع وأوصى بذى الأرحام خيرا وأن لا تجنى نفس على أخرى !!

وصلى صلى الله عليه وسلم الصبح بمسجد الخيف فى بعض تلك

الأيام فلما قضى صلاته انحرف فإذا هو برجلين فى آخر القوم لم يصليا معه فقال لهما : مامنعكما أن تصليا معنا ؟ قالا : إنا كنا صلينا فى رحالنا فقال : إذا صليتما فى رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة

واستأذن عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أن يبيت بمكة ليالى أيام منى من أجل سقايته فأذن له وأرخص صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل فى البيتوتة (١) يجمعون رمى يومين بعد يوم النحر فيرمونه فى أحدها

وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى والناس أكثر ما كانوا ركعتين وصلى معه حارثة بن وهب الخزاعى أخو عبد الله بن عمر لأمّه ودارهم بمكة

ثم نهض صلى الله عليه وسلم بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرّخ وهو آخر أيام التشريق إلى المحصب (٢) وهو الأبطح

---

(١) أى البيات خارج منى عند الإبل (٢) المحصب «وهو بميم مضمومة ثم صاد مشددة مهملتين مفتوحتين ثم باء موحدة» : اسم لمكان متسع بين مكة ومنى وسمى بالمحصب لاجتماع الحصباء فيه وهو الحصى الصغار والخيف : الوادى»

بعد أن قال لهم بمنى قبله بيوم : نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة يعني بذلك المحصب وضرب أبو رافع قبته به وكان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم أن أنزل الأبطح حين خرج من منى ، ولكن جئت فضربت قبته فجاء فنزل

ولا تضادد بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم : «نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة » إذ يجوز أن يكون أبو رافع سمع ذلك الكلام منه فاعتمده وليس ذلك بأمر ولم يحدث له بعد ذلك أمرا

وحاضت صفية ليلة النفر وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد منها بعض مايريده الرجل من أهله؟ فقالوا : إنها حائض يارسول الله قال : وإنها لحابستنا قالو : يارسول الله إنها قد زارت يوم النحر قال : فلتنفر معكم

وصلى صلى الله عليه وسلم بالمحصب الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة من ليلة الأربعاء رابع عشر ذى الحجة

وقالت له عائشة تلك الليلة : يارسول الله يرجع الناس بحج وعمرة وأرجع بحجة وقد قال لها لما طافت بالبيت وبالصفا والمروة حللت من

حجتك وعمرتك جميعا ويسعك طوافك لحجك وعمرتك فقالت له يا رسول الله : إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حين حججت وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا إذا هويت الشىء تابعها عليه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر أن يعمرها قال له : أردف أختك فإذا هبطت بها من أكمة التنعيم (١) فأهلا وذلك ليلة الصدر . وفى رواية : « فإذا هبطت من الأكمة الحمراء » وفى رواية : « فإذا هبطت بها واديا فأعمرها فإنها عمرة متقبلة قالت : فإنى لاأذكر وأنا جارية حديثة السنّ أنعس فيصيب وجهى مؤخرة الرحل حتى جئنا إلى التنعيم فأهللت منها بعمرة جزاء لعمرة الناس التى اعتمروا

وانتظرها صلى الله عليه وسلم فى منزله بالمحصب حتى قضت عمرتها فى جوف الليل فقال : فرغتما ؟ قالت : نعم فقال صلى الله عليه وسلم هذه مكان عمرتك

---

(٢) التنعيم « بفتح التاء» : هو عند طرف مكة من جهة المدينة والشام على ثلاثة أميال من مكة ، سمى بذلك لأن عن يمينه جبلا يقال له نعيم وعن شماله جبلا يقال له ناعم والوادى نعمان

وذكرت أنها التقت بالنبى صلى الله عليه وسلم فى طريقها وهو مصعد من مكة وهى منهبطة عليها أو هى مصعدة وهو منهبط منها ، وسيأتى أنه صلى الله عليه وسلم أذن بالرحيل بعد مجيئها وفراغها وطاف للوداع بعد ذلك ولعله صلى الله عليه وسلم طاف تلك الليلة مرتين مرة بعد أن بعثها وقبل فراغها ومرة بعد فراغها للوداع ، أو يكون هذا اللقاء حين انتقل من المحصب إلى ظهر العقبة خوف الاقتداء به فى نزول البطحاء روى ذلك عبد الرزاق فى مصنفه حكاه عنه عياض

ثم أذن صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بالرحيل فخرج فمرّ بالبيت فطاف به قبل صلاة الصبح للوداع ولم يرمل فى شىء منه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

وذكر ابن حزم أنه رجع بعد خروجه من أسفل مكة إلى المحصب وأمر بالرحيل ومضى إلى المدينة من فوره

وقد رأيت فى بعض تعاليقه وذكره بعض المؤلفين مسنداً

عنه أنه فعل ذلك ليكون كالمحلق مكة بدائرة فى دخوله وخروجه فإنه بات بذى طوى ثم دخل من أعلى مكة ثم خرج من أسفلها ثم رجع إلى المحصب ويكون هذا الرجوع من يمانى مكة حتى تحصل الدائرة فإنه صلى الله عليه وسلم لما جاء نزل بذى طوى ثم أتى مكة من كدا ثم نزل به لما فرغ من الطواف ثم لما فرغ من جميع النسك نزل به ثم خرج من أسفل مكة وأخذ من يمينها حتى أتى المحصب ويحمل أمره بالرحيل ثانيا على أنه لقى فى رجوعه ذلك إلى المحصب قوما لم يرحلوا فأمرهم بالرحيل وتوجه من فوره حينئذ إلى المدينة(١)

---

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية : ولقد شان نفسه وكتابه بهذا الهذيان البارد السمج الذى يضحك منه ولولا التنبيه على أغلاط من غلط عليه صلى الله عليه وسلم لرغبنا عن ذكر مثل هذا الكلام والذى كأنك تراه من فعله صلى الله عليه وسلم أنه نزل المحصب وصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم نهض إلى مكة وطاف بها طواف الوداع ليلا ثم خرج من أسفلها إلى المدينة ولم يرجع إلى المحصب ولا دار دائرة ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بالمحصب ثم ركب إلى البيت وطاف به وفى الصحيحين : البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت الحديث قالت حين قضى الله الحج ونفرنا من منى فنزلنا بالمحصب فدعا

وكانت مدّة إقامته صلى الله عليه وسلم منذ دخلها إلى أن خرج منها إلى منى ثم عرفة ثم مزدلفة ثم منى ثم إلى المحصب إلى أن توجه راجعا عشرة أيام أولها الأحد رابع ذى الحجة وآخرها الثلاثاء ثالث عشرها

فلما أتى صلى الله عليه وسلم فى مرجعه الروحاء لقى ركبا فقال: من القوم؟ فقالوا: المسلمون فقالوا: ومن أنت؟ فقال: رسول الله ففزعت امرأة فأخذت بعضدى صبى [1] فأخرجته من محفتها فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر

عبد الرحمن بن أبى بكر فقال له: خرج بأختك من الحرم ثم أفرغا من طوافكما ثم ائتياني ههنا بالمحصب قالت: فقضى الله العمرة وفرغنا من طوافنا فى جوف الليل فأتيناه بالمحصب فقال: فرغتما قلنا: نعم فأذن فى الناس بالرحيل فمر بالبيت فطاف به ثم ارتحل متوجها إلى المدينة. فهذا من أصح حديث على وجه الأرض وأدله على فساد ماذكره ابن حزم وغيره من تلك التقديرات التى لم يقع شىء منها ودليلى على أن حديث الأسود غير محفوظ وإن كان محفوظا فلا وجه له غير ماذكرنا وبالله التوفيق

(١) العضد: مابين المرفق إلى الكتف، والمحفة «بالكسر»: مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تقبب كما تقبب الهوادج

وذكر لى بعض أهل العلم والاطلاع : أن هـذا السؤال وقع من ثلاث نسوة فى ثلاثة مواطن أحدها بعرفة

وخرج ابن السراج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسير بعرفة فأخرجت امرأة صبياً لها من هودج لها فقالت : يارسول الله ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر

وذكر ابن حبان أن الذى كان بالروحاء كان فى مرجعه كما ذكرناه فلما أتى صلى الله عليه وسلم ذا الحليفة بات بها ثم لما رأى المدينة كبر ثلاثاً وقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له : له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . آيبون(١) تائبون عابدون ساجدون صدق

---

(١) آيبون : أى راجعون تائبون إلى الله تعالى صدق الله وعده أى فى قوله تبارك وتعالى : لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون» ونصرعبده يريد نفسه صلوات الله وسلامه عليه وإنما قال عبده ليشير إلى أن نصر الله تعالى إنما يكون بالعبودية لله والامتثال لامره وهزم الأحزاب : الأحزاب : هم الأحزاب الذين تحزبوا يوم الخندق، قوله صلى الله عليه وسلم وهزم الأحزاب وحده أى من غير قتال ونزال فقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا لم تروها

الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده

ثم دخل صلى الله عليه وسلم نهاراً من طريق المعرّس. قال أبو سعد وأقام بالمدينة إلى أن مات لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فكان بين خروجه من مكة ووفاته ثمانون ليلة صلى الله عليه وسلم والله أعلم

هذا آخر ماتيسر من تلخيص صفة حجته صلى الله عليه وسلم ولله الحمد والمنة

